حرف الجيم

لعبد الله أمين

أيقترب صوت الشين كاللهجة السورية
أو لا يقترب صوتها كاللهجة المصرية

١ — من الناس من يقترب بالجيم حين النطق بها من مخرج الكاف ويُشربُها صوتها فلا تكون جيماً خالصة ولا كافاً خالصة بل تكون حرفاً ثالثاً وسطاً بينهما مزيجاً منهما معاً فيقال في نحو جزر. جرس. جبل . جبل . ج كزر . ج كرس . ج كبل . ج كل بمزج الجيم بالكاف فتصير كالكاف الفارسية المعلّظة ويقول بعض الأئمة المتقدمين انها لغة شائعة — في عصرهم — في أهل البحرين وعوامّ أهل بغداد — وهي طمجة لعوام القاهرة الأصليين في نحو قولهم « يا جدع »

٢ — ومن الناس من يقترب بها حين النطق بها من مخرج الشين ويُشربُها صوتها فلا تكون جيماً خالصة ولا شيناً خالصة بل تكون حرفاً ثالثاً وسطاً بينهما مزيجاً منهما معاً فيقال في نحو جزر . جرس . جبل . جبل . ج شزر . ج شرس . ج شبل . ج شمل بمزج الجيم بالشين وهي لغة شائعة في سوريا وبين عوام الاسكندرية الاصليين

٣ — ومن الناس من ينطق بها من مخرجها فلا يقترب بها من مخرج الكاف ولا من مخرج الشين ولا يُشربها شيئاً من صوت إحداهما كما ينطق بها كثير من أهل مصر السفلى وبعض أهل القاهرة[1]

---

(١) أ — فالكاف والجيم والشين ثلاثة مخارج وثلاثتهن بين مخرجي القاف والياء وخمستها متتابعة على النحو الآتي القاف فالكاف فالجيم فالشين فالياء واذا سكنت كلا منها وجئت قبله بهمزة وصل هكذا اقْ . اكْ اجْ . اشْ اي ونطقت بها ظهرت لك مخارجه بهذا التتابع وظهرت بينها مسافات فالقاف ثم الكاف يخرجان من أقصى اللسان مما فوقه من الحنك الاعلى وبينهما انهباط لذلك قيل لهما لهويان . والجيم فالشين فالياء تخرج من وسط اللسان مما فوقه من الحنك الاعلى ومخرجها يسمى الشجر وتسمى حروفه شجرية والجيم في أول الشجر مما يلي ناحية فتحة الفم المطبقة وهي قريبة من مخرج الكاف والياء في آخر الشجر من ناحية فتحة الفم الاعلامة وبينهما الشين

ب — اوضاع أعضاء النطق في الاتجاهات الثلاث هي (١) انك حين تقترب بالجيم في نحو جزء من مخرج

أما النطق بها كافاً خالصة كأن يقال في جزر . جرس . جبل . جمل . كزر . كرس . كبل . كمل . أو شيناً خالصة كأن يقال في أربعتها شزر . شرس . شبل . شمل . بدون مزجها بالكاف ولا بالشين فهذا يعدّ ابدالاً لغوياً اذا ورد ولا يدخل في هذا البحث بأيّة حال

فأيّ هؤلاء اللهجات الثلاث الصحيح الفصيح الوارد في اللغة العربية الفصحى وعلى ألسنة العرب الخلّص التي يجب التزامها وأيها التي لم ترد في اللغة الفصحى ولا على ألسنة الفصحاء ويجب اجتنابها ؟

***

والجواب الذي لا شك فيه وقد أيّدته النصوص والسماع هو أنّ اللهجة الصحيحة الفصيحة التي يجب التزامها وهجر ما عداها هي المذكورة في الفقرة الثالثة أما اللهجتان المذكورتان في الفقرتين الاولى والثانية فليستا من اللغة الفصحى في شيء

والتي تعنيني من هاتين اللهجتين في اللهجة الثانية وهي اشراب الجيم صوتَ الشين ومن أجلها كتبت هذا المقال لأن كثيراً من الأدباء والقراء الذين لم يتلقوا القرآن الكريم عن الحفاظ المجوّدين الثقات ينتصرون لها ويدعون اليها في قراءة الفصيح من الكلام وفي قراءة أفصحه وهو القرآن العزيز

ولا يعنيني البحثُ عمّن أخذ العرب هذه اللهجة أأخذوها عن الفرس أم عن الترك أم عن غيرهما ولا عن الوقت الذي أخذوها فيه أهو قبل الاسلام أم بعد ظهوره وانتشاره واختلاط العجم بالعرب وإنما الذي يعنيني كل العناية هو اثبات انها لهجة مستهجنة مستقبحة لا تجوز القراءة بها في كلام فصيح

الكاف وتمزجها بها وتشربها صوتها تضغط بسطح اللسان بالقرب من فتحة الفم الخلفية على ما فوقه من الحنك الاعلى وتطلق لسانك في ذلك بدون أن يمس شيئاً فيه مع فتح الفم كثيراً (٢) وحين تقترب بها من مخرج الشين وتمزجها بها وتشربها صوتها تضغط بسطح اللسان بالقرب من طرفه على ما فوقه من الحنك الاعلى وتباعد بين فكيك وبين شفتيك قليلا (٣) وحين تنطق بها من مخرجها الاصلي تضغط بسطح وسط اللسان على ما فوقه من الحنك الاعلى وتقارب بين فكيك وبين شفتيك قليلا

جـ — الاستدلال بلهجة أهل اقليم أو أهل بلد على نطق معين بمخرف الجيم أمر غير ممكن لاختلاط الناس واختلاف اللهجات وتنقل بعضها في بعض غير ان اللهجة الثانية أشيع في سوريا واللهجتين الاولى والثالثة أشيع في البلاد المصرية . وقد ذكرت ما ذكرت عن وجه التقريب لا التحقيق وستعرف في آخر هذا المقال أي مزيج يتحد قدوة لنطق الفصيح بحرف الجيم ويمثله أصدق تمثيل

د — كان الأفضل لتمثيل مزج الجيم بالكاف أو مزجها بالشين في الكتابة أن يوضع أحد الحرفين فوق الآخر كما فعل الافرنج في كتبهم المخطوطة . فلما لم يتيسر ذلك في حروف الطباعة اضطررت اضطراراً الى كتابتهما متجاورين كما ترى على ان ينطقا معاً نطقاً واحداً ممزجاً

هـ — اشتهار لهجة اشراب الجيم صوت الشين كاللهجة السورية : يسمونها تمطيط ويقولون عطش الجيم أي أشربها صوت الشين ولم أوفق للعثور على لفظ التمطيط في كتب اللغة ولا في كتب القراءات والتجويد

وقد كتبت طائفة ممتازة من العلماء المتأخرين منهم الصديق الجليل الأب انستاس ماري الكرملي علامة العراق منذ خمس وأربعين سنة في هذا الحرف مقالات في الصفحات ١٨٧ وما بعدها من مجلد سنة ١٨٩٧ من مجلة البيان وهو المجلد الاول والاخير منها والصفحات ٢١٦ وما بعدها من مجلد سنة ١٨٩٧ من مجلة الهلال والصفحات ١١٦ وما بعدها والصفحات ٤٨٧ وما بعدها والصفحات ٨٣٧ وما بعدها من المجلد الاول لسنة ١٨٩٨ من مجلة المشرق

وذكروا فيما ذكروا مصادر هذه اللهجات وأوقات نشوئها في العربية واستدلوا على ما قالوه بأدلة كثيرة وبرهنوا بما ذكروا وبما استدلوا على سعة اطلاع ورجاحة فكر غير انهم أهملوا الرجوع الى نصوص كثيرة في هذا الموضوع لكبار أئمة العربية ولو انهم رجعوا اليها لما كان من أقوالهم : ان الجيم كانت حلقية قبل الاسلام ؛ لأن الجيم ما كانت ولن تكون حلقية وما قال بذلك أحد من أئمة العربية ولما استدلوا على أن الجيم صارت بعد ظهور الاسلام مُشرَبةً صوت الشين كاللهجة السورية بقولهم : ان العلماء في أوائل الاسلام لما ضبطوا لفظها عيّنوا مخرجها من الشجر كما يلفظها أهل الشام : لأنّ نسبة الجيم الى الشجر الذي تنسب اليه الشين ليس معناه أن تشرب الجيم صوت الشين كاللهجة السورية ولم يقل بذلك أحد من علماء العربية

وقد جعلت مقالي [1] هذا متمماً لأقوالهم فلم أذكر مما ذكروه شيئاً على ما فيه من بحوث ممتعة وذكرت فيه ما فاتهم ذكره وهو صلب الموضوع ومُخّهُ فأقول

إن علماء العربية حينما دوّنوا علومها بحثوا فيما بحثوه من لغة العرب الحروف وقسموها الى حروف أصلية وهي حروف الهجاء التسعة والعشرون أو الثمانية والعشرون المعروفة التي أوّلها الهمزة وآخرها الياء والى حروف فرعية تتفرّع من الحروف الأصلية المذكورة والحروف الفرعية المذكورة طائفتان

***

الطائفة الأولى : ستة أحرف مستحسنة مستعذبة يكثر ورودها على ألسنة الفصحاء وفي الكلام الفصيح وفي أفصحه غير منازع وهو القرآن الكريم والذي يعنيني منها هو الشين المُشرَبة صوتَ الجيم وذلك اذا كانت ساكنة ووليها دال نحو أشدق فيقال أش جدق

(١) عرفت خطأ من يشرب الجيم صوت الشين منذ سنين طويلة مضت وأعددت عدة صور تدل فيه ولم أكن أعرف ان أحداً قبلي له وكتب فيه قبل حتى أخيراً حضرة العلامة الجليل الأب انستاس ماري الكرملي فهو وطائفة من الادباء المتأخرين كتبوا فيه عدة مقالات فاطلعت على ما كتبوا وأضفت وزدت عليه ما وجدت في مقالي هذا وهممت بنشره، معه غير ان أزمة الورق حالت دون ذلك فاكتفيت بتبييض موضع المقالات لمن شاء الرجوع اليها

بمزج الشين بالجيم وإشرابها صوتها وتكوين حرف ثالث لا هو شين خالصة ولا هو جيم خالصة بل حرف وسط بينهما مزيج منهما معاً

***

والطائفة الثانية : ثمانية احرف مستقبحة مستكرهة لم ترد على ألسنة الفصحاء ولا في الكلام الفصيح ولا تجوز القراءة بها في القرآن العزيز والذي يعنينا منها الجيم المشربة صوت الكاف كالكاف الفارسية المغلظة والجيم المشربة صوتَ الشين وذلك اذا كانت ساكنة ووليها دال أو تاء في نحو أجدر واجتمعوا فيقال فيهما أج شدر وأج شتمعوا بمزج الجيم بالشين واشرابها صوتها وتكوين حرف ثالث لاهو جيم خالصة ولا هو شين خالصة بل وسط بينهما مزيج منهما معاً . ومن هذا ترى أن إشراب الشين صوت الجيم من الحروف المستحسنة وعكسه وهو اشراب الجيم صوت الشين من الحروف المستقبحة

***

ولاغرابة في أن يكون إشراب الشين في نحو أشدق صوت الجيم من الحروف المستحسنة وأن يكون إشراب الجيم في نحو أجدر واجتمعوا صوت الشين من الحروف المستقبحة لأن ذلك خاضع لقوانين صوتية وجيهة أساسها ضرورة التلاؤم بين الحرفين المتتالين

فالجيم في نحو أجدر واجتمعوا ملائمة كل الملائمة للدال والتاء التاليين لها لأن ثلاثتها مجهورة شديدة فاذا اشربت الجيم صوتَ الشين فقدت هذا التلاؤم لأن الشين مهموسة رخوة وهاتان صفتان ضدا صفتي الدال والتاء وهما الجهر والشدة لذلك استهجن واستكره اشراب الجيم صوت الشين لعدم التلاؤم بين الجيم المشربة صوتَ الشين وبين الدال والتاء

والشين في نحو أشدق لا تلائم الدال التالية لها لما تقدم من أن الشين مهموسة رخوة والدال ضدها مجهورة شديدة لذلك استحسن واستحب اشراب الشين صوت الجيم لأن صوت الجيم وفيه الجهر والشدة يلائم صوتَ الدال وفيها مثله الجهر والشدة

***

ومن ذلك تعرف ان الجيم لا تشرب صوت الشين الاَّ في موضع واحد وهو اذا كانت ساكنة ووليها دال أو تاء وأن هذا الاشراب مع قلته هذه مستهجن مستكره غير أن دعاة هذا الإشراب (التعطيش) يشربون الجيم صوت الشين في كل موضع ترد فيه بدون تفريق بين الجيم التي يليها دال او تاء والتي لا يليها حرف منهما مخالفين بذلك الساع والادلة القطعية واليك هذه الادلة

اقوال أئمة العربية في لفظ الجيم

قال إمام الأئمة سيبويه في باب « عدد الحروف العربية ومخارجها وصفاتها » من كتابه ما يأتي

« وقد تكون خمسة وثلاثين حرفاً بحروف هنّ فروع وأصلها من التسعة والعشرين وهي كثيرة الذكر يؤخذ بها وتستحسن في قراءة القرآن والأشعار وهي (١) النون الخفيفة أو المخفية (٢) والهمزة بين بين (٣) والألف التي تمال امالة شديدة (٤) والشين التي كالجيم (٥) والصاد التي تكون كالزاي (٦) وألف التفخيم يعني بلغة الحجاز في قولهم الصلاة والزكاة والحياة وتكون اثنين واربعين حرفاً بحروف غير مستحسنة ولا كثيرة الذكر في لغة من ترتضي عربيته ولا تستحسن في قراءة القرآن ولا في الشعر وهي الكاف التي بين الجيم والكاف والجيم التي كالشين والضاد الضعيفة والصاد التي كالسين والطاء التي كالتاء والظاء التي كالثاء والباء التي كالفاء

وهذه الحروف التي تمتها اثنين واربعين جيدها ورديئها اصلها التسعة والعشرون لا تتبيّن الاّ بالمشافهة . ج ٢ ص ٤٠٤ و ٤٠٥ سيبويه

وقال الامام ابن مالك في كتابه « تسهيل الفوائد وتكميل المقاصد » في النحو ما يأتي في باب مخارج الحروف : بعد أن ذكر مخارج الحروف الاصلية التسعة والعشرين « فهذه الحروف فروع تستحسن وهي الهمزة المسهّلة والمُشمّة ومخرجها الخيشوم وألفا الامالة والتفخيم والشين كالجيم والصاد كالزاي وفروع تستقبح وهي كاف كجيم وبالعكس وجيم كشين وصاد كسين وطاء كتاء وظاء كثاء وباء كفاء وضاد ضعيفة » ص ٨٣ طبع مكة سنة ١٩١٣ م

وقال إمام اللغة والادب جار الله محمود بن عمر الزمخشري في كتابه المفصل في النحو عند الكلام على مخارج الحروف في باب « ومن أصناف المشترك الادغام » في آخر الكتاب ما يأتي : —

« ويرتقي عدد الحروف الى ثلاثة وأربعين حروف العربية الأصول تلك التسعة والعشرون وينفرّع منها ستة مأخوذ بها في القرآن الكريم وكل كلام فصيح وهي النون الساكنة التي هي غُنّة في الخيشوم نحو عنكَ وتسمّى النون الخفيفة والمخفية وألفا الامالة والتفخيم نحو عالم والصلوٰة والشين التي كالجيم نحو أشدق والصاد التي كالزاي نحو مصدر

والهمزة بَيْنَ بَيْنَ والبواقي حروف مستهجنة وهي الكاف التي كالجيم والجيم التي كالكاف والجيم التي كالشين والضاد المضعفة والصاد التي كالسين والطاء التي كالتاء والظاء التي كالتاء والباء التي كالفاء » . ص ٣٩٤ المفصل طبع مطبعة التقدم بمصر سنة ١٣٢٣ هـ

وقال فخر العلم والعلماء الامام ابن الحاجب في شافيته في الصرف بعد أن ذكر مخارج الحروف الأصلية ما يأتي :

« ومخرج المتفرّع واضح والفصيح ثمانية همزة بَيْنَ بَيْنَ وهي ثلاثة والنون الخفية نحو عَنكَ وألف الامالة ولام التفخيم والصاد كالزاي والشين كالجيم ، وأما الصاد كالسين والطاء كالتاء والفاء كالباء والضاد المضعفة والكاف كالجيم فمستهجنة . وأما الجيم كالكاف والجيم كالشين فلا يتحقق » ص ١٤٧ من الشافية طبع الهند

وقال امام اللغة والادب والصرف أبو الفتح عثمان بن جني في كتابه سرّ الصناعة تحت عنوان « باب ذكر الحروف على مراتبها في الاطراد » ما يأتي :

« وهي الهمزة والألف والهاء والعين والحاء والغين والخاء والقاف والكاف والجيم والشين والياء والضاد واللام والراء والنون والطاء والدال والتاء والصاد والزاي والسين والظاء والذال والثاء والفاء والباء والميم والواو

فهذا هو ترتيب الحروف على مذاقها وتصعّدها وهو الصحيح فأما ترتيبها في كتاب العين ففيه خطل واضطراب ومخالفة لما قدمناه آنفاً مما رتبه سيبويه وتلاه أصحابه عليه وهو الصواب الذي يشهد التأمل لهُ بصحته

واعلم أن هذه الحروف التسعة والعشرين وقد تلحقها ستة أخرى تتفرّع عنها حتى تكون خمسة وثلاثين حرفاً . وهذه الستة حسنة يؤخذ بها في القرآن وفصيح الكلام وهي النون الخفيفة ويقال لخفيّة والهمزة المخففة وألف التفخيم وألف الامالة والشين التي كالجيم والصاد التي كالزاي

وقد تلحق بعد ذلك ثمانية أحرف وهي فروع غير مستحسنة لا يؤخذ بها في القرآن ولا في الشعر ولا تكاد توجد إلاّ في لغة ضعيفة مرذولة غير مُستقبَّلة وهي الكاف التي بين الجيم والكاف والجيم التي كالكاف والجيم التي كالشين والصاد المضعفة والصاد التي كالسين والطاء التي كالتاء والظاء التي كالتاء والباء التي كالفاء

ولا يصح أمر هذه الحروف الاربعة عشر اللاحقة للتسعة والعشرين حتى كملتها ثلاثة وأربعين إلا بالسمع والمشافهة »

من أوائل نسخة خطية بدار الكتب غير مرقمة الصفحات وهي تحت رقم ١٢٠ لغة « يبن »